

القبسك والناسك

الناسك وابن عرس

زعموا أن ناسكا من التُّسَاك كان بأرض جرجان ^(١) وكان له امرأة صالحة لها معه صُحبة، فمكثا زماناً لم يُرزقا ولداً، ثم حَمَلَتْ بعدَ الأَيَّاس ^(٢)، فَسَرَّتِ المرأةُ وَسَرَّ النَّاسِكُ بذلك وحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحملُ ذَكَراً، وقال لزوجته: أبشري فإنني أرجو أن يكون غُلاماً، فيه لنا منافع وقرَّة عين ^(٣)، أختارُ له أحسن الأسماء، وأحضرُ له جميع المؤدين. فقالت المرأة: ما يملك أيها الرجل أن تتكلم بما لا تدري أيكون أم لا؟ لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره، وما لا تدري أيصحُّ أم لا يصحُّ؟ ولكن ادعُ ربَّك وتوسَّلْ إليه وتوكلْ عليه، فإن التصاوير في الحائط إنما هي ما دام بناؤه قائماً، فإذا وقع وتهلَّم لم يقدر عليها. فاتعظ الناسك بما حَكَت زوجته.

ثم إن المرأة وَلَدَتْ غُلاماً جميلاً، ففرح به أبوه. وبعد أيام حان لها أن تغتسل، فقالت المرأة للناسك: اقْعُدْ عند ابنك، حتى أذهب إلى الحمَّام فأغتسل وأعود، ثم إنها انطلقت إلى الحمام، وخلعت زوجها والغُلام فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه، ولم يجد من يُخلفه عند ابنه، غير ابن عرس ^(٤) داجن ^(٥) عنده، كان قد ربَّاه صغيراً، فهو عنده عَدِيلٌ ^(٦) وَلَدَهُ. فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول.

فخرج من بعض أبحار البيت حيَّة سوداء، فدنت من الغلام، فضربها ابنُ عرس، فوثبت عليه فقتلها، ثم قطعها، وامتلأ فمُه من دمها. ثم جاء الناسك، وفتح الباب، فالتقاه ابن عرس كالمشير له بما صنع من قتل الحية، فلما رآه مُلَوَّثاً بالدم، وهو مذعورٌ، طار عقله، وظن أنه قد خنق وَلَدَهُ، ولم يثبت في أمره، ولم يترَوَّ فيه، حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك. ولكن عَجَّلَ على ابن عرس بعكازة كانت في يده، على أُمِّ رأسه ^(٧) فمات. ودخل الناسك، فرأى الغُلام سَلِيمًا حيًّا وعنده أسودٌ ^(٨) مقطَّعٌ، فلما عرف القِصَّة وتبين له سوء فعله في العجالة لطمَ رأسه، وقال: ليتني لم أرزق هذا الولد، ولم أعُدِّر هذا الغدر.

فدخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له: ما شأنك؟ فأخبرها من حُسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له، فقالت المرأة: هذه ثمرة العجلة لأن الأمر إذا فرط ^(٩)، مثل الكلام إذا خرج، والسَّهْم إذا مَرَقَ ^(١٠) لا مردَّ له!!

(كتاب كَلِيلَة ودمنة)

شرح الكلمات الصعبة

^(١) جرجان: إقليم في فارس فتحه يزيد بن مُهَلَّب، وأسس فيه مدينة جرجان وتُسمى أَسْتَرَبَاد. ^(٢) الإيَّاس: قطع الرجاء.

^(٣) قُرَّتْ عَيْنُهُ: بردت سُوراً، وانقطع بُكاؤها. ^(٤) ابنُ عرس: حيوان مولعُ بفتك الحيات، يُشبه الفأر وهو أكبر منه.

^(٥) داجن: أليف. ^(٦) عَدِيلُهُ: شبيهه. ^(٧) أم الرأس: الدماغ. ^(٨) أسود: أفعى. ^(٩) فرط الأمر: حدث من غير روية. ^(١٠) مَرَقَ السَّهْمُ: نَفَذَ.